

المحاضرة رقم: 15

الإيقاع الشعري

يعدّ الإيقاع أحد أهم المرتكزات الشعرية التي أصبحت تحتكم إليها القصيدة العربية المعاصرة، فالشاعر المعاصر لم يعد يكتفي في تشكيل بنيته الموسيقية على الموسيقى الخارجية التي تشكلها البحور الشعرية والقافية، وإنما سعى إلى استغلال بعض الوحدات الإيقاعية التي من شأنها أن تضيف شعرية أكثر على قصائده. ولعل أهمّ وحدتين إيقاعيتين كانت لهما الأثر الأكبر في إثراء الفضاء الموسيقي للشعر العربي المعاصر هما التكرار والتدوير:

أولاً- التكرار:

1- مفهومه: تعد تقنية (التكرار) من التقنيات البارزة التي استخدمها الشاعر المعاصر في سبيل تحقيق تطلعاته الشعرية، وذلك من حيث قدرته على التعبير عن الخلجات الشعورية من جهة، وإضفاء مسحة إيقاعية على القصيدة.

2- أنواع التكرار: يتحقق التكرار عبر عدة أنواع:

أ- تكرار الحرف: وهو تكرار حروف بعينها في الكلام، مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف ابعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية. ويمكن التمثيل لهذا النوع بهذا المقطع الشعر للشاعر عبد المالك بومنجل من ديوانه (لك القلب أيتها السنبلة):

كنا نكابد جرحنا

كنا كأفراخ الحطيئة بعدما

هجر الأحبة بيتنا

كنا نسير على الملامح خيرة...

ب- تكرار اللفظة: وهو تكرار بعيد اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ، وإكسابها قوة تأثيرية. وهذا النوع من التكرار كثير في الشعر الحديث، وللتدليل على فاعلية هذا التكرار نأخذ المقطع الشعري لنزار قباني:

خبئني في خلجان يديك.. فإن الريح شماليه

خبئني.. في أصداف البحر/وفي الأعشاب المائية

خبئني.. في يدك اليمنى

خبئني في يدك اليسرى/ لن أطلب منك الحرية

ت-تكرار العبارة أو الجملة: وهو تكرار يعكس الالهية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم إضافة الى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه. وللتمثيل لهذا النوع من التكرار نأخذ هذا المقطع الشعري لعبد العزيز المقالح:

صباح جديد/ وأغنية تتسكع خلف الشبابيك تبحث عن غيمة، أو سحابة

صباح جديد.. وأغنية تتحدر عبر سماء من الحلم/ تغسل أرواحنا/ وتذيب ثلوج الكآبة

صباح جديد/ وشمس من الحب دافئة/ كالنبض المعتق في صدر خابية تشتكي للزمان شبابه

ث- تكرار المقطع: ويقصد به أن يكرر الشاعر مقطعاً شعرياً في القصيدة تكراراً فنياً مؤثراً، يسهم في تنعيم القصيدة، وتكثيف دلالاتها، وإحياءاتها الفنية؛ حيث "يوفر تكرار المقطع لبنية القصيدة فرصة كبيرة لتحقيق تأثير مباشر على اعتبار أن المقطع أطول أجزاء النص الشعري. وحين ينبع تكرار المقطع من صميم التجربة الشعرية فإن هذا يكفل للتكرار أهمية خاصة تسهم في إغناء التجربة الشعرية دلاليّاً وإيقاعياً معاً". وهذا النوع من التكرار قليل في الشعر العربي الحديث، ويمكن التمثيل لذلك بهذا النص من قصيدة (ضباب على بوصلة القلب) لخالد أبو خالد:

لا نشترى قدساً ملفقةً بقدسك / نشترى شمساً لشمسك.. / لا نصادر في المكان /

ولا نصادر في الزمان

ولن يصادرنا سماسرة الدخان..

سنوات تجمعنا الرسائل والقبائل

جمعينا في الحرائق.. كي نقوم

وفي سوادك كي نضيء..

جمعينا في المعدّس والغيوم..

لا نشتري قدساً ملفقةً بقدسك / نشتري شمساً لشمسك / لا نصادر في الزمان/ ولن

يصادرنا سمسرة الدخان

ثانياً: التدوير

1. مفهومه: يعد التدوير أحد أهم عناصر البناء الموسيقي للشعر العربي المعاصر، ويختلف التدوير في شعر التفعيلة عنه في الشعر الخليلي من حيث أنّه إذا كان التدوير في الشعر الخليلي يقوم على أساس كسر كلمة بين الشطرين، فإنّ التدوير في شعر التفعيلة يقوم على كسر التفعيلة بين الشطرين.

2. أنماط التدوير: ويمكن حصر أكثر أنماط التدوير انتشاراً ووضوحاً في القصيدة العربية الحديثة بما يأتي:

أ- التدوير الجملي: يقوم التدوير الجملي على تدوير الجملة الشعرية الكاملة بحيث ينتهي التدوير بنهاية الجملة ليبدأ تدوير آخر مع بداية الجملة الشعرية اللاحقة وينتهي بنهايتها. ومثاله هذا النصّ من قصيدة "يخلع العصر أثوابه" للشاعر خليل الخوري:

ها هنا.. جائعاً، بارداً فاحتمي/ بقايا الدماء/ إنها الساعة الواحدة/ ساعة البرج تعلنها/

أنت مرهقة، فارقدي، واحلمي

بالعصافير، والدفعاء، والشبع/ هذا مخاض عسير عسير/ تؤرخه المدن الصامده

ب- التدوير المقطعي: يتحدد التدوير المقطعي بهيمنة تقنية التدوير على مقطع من القصيدة بحيث تنشغل به انشغالاً كلياً وبذلك فإن القصيدة المقطعية في الشعر العربي المعاصر قد يأتي أحد مقاطعها مدوراً تدويراً كاملاً، أو مقطعان أو ثلاثة وهكذا¹. ومثاله قصيدة "البصرة" للشاعر عبد الوهاب البياتي:

كانت، كعادة، أهلها البسطاء/ تجترح البطولة والفداء/

¹ - يظهر هذا النمط التدويري كثيراً في شعر البياتي ونازك وبلند وسعدي وأمل دنقل ولميعة وحמיד سعيد وغيرهم.

تستقطر التاريخ معجزة/ وشارات انتصار/ وبوجهها العربي/ في كل العصور/-مدينة الشعراء والعلماء -

ت-التدوير الكلي: ويقوم النظام التدويري في هذا النمط على إشغال القصيدة بأكملها، بحيث تبدو القصيدة وكأنها جملة واحدة². ويمكن التمثيل لهذا النمط بهذا المقطع الشعري:

قبل النوم، أرى البولفار ندياً أحمر، أسمع / في المطر العجلات، وأسألني: هل أشنق/

فأراً؟ أم أتوسل عبر الثقب وأنفض / عن ثوب الجص المتساقط؟ يوماً أتوغل /

في الدهليز وأسمع دورة مفتاح في غرفتها / وأدير برأسي مشروعاً: هل أسألها /

عوداً من علبة ثقاب؟ لكني حين أعدت / العلبة أمس أجابتن متحصنة بالباب /

الموصل،/ (دعها عندك/ قد تحتاج إليها)

² - إن التدوير الكلي ينحو على المستوى الشكلي منحى دائرياً، إذ أن نظامها الشكلي والكتابي يحدده مستوى وطبيعة تدويره فيها، ويخلق لفضاء القصيدة حدوداً معينة تتكشف التجربة ويعمل الفعل الشعري داخل محيطها. وتتميز قصيدة التدوير الكلي بانسيابية واستمرارية وتواصلية لا يمكن أن تتحقق في أي نمط آخر من أنماط التدوير الأخرى.

المصادر والمراجع

أولاً: الدراسات والأبحاث:

- 1- ابراهيم أنيس موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2 (1952).
- 2- أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة، ج1 و2، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (1424هـ - 2004).
- 3- ترماني، خلود، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة حلب، سورية، 2004.
- 4- جلال الحنفي: العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني - بغداد، سنة 1398هـ - 1978م.
- 5- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط4 (2007).
- 6- الخطيب التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، تمهيد: عمر يحيى، تحقيق: فخر الدين قباو قدّار الفكر، دمشق، سوريا، سنة 1423هـ - 2002م.
- 7- سليمان البستاني: مقدمة إلياذة هوميروس، كلمات للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ج1، 01.
- 8- شكري عياد: موسيقى الشعر العربي - مشروع دراسة علمية، دار المعرفة، القاهرة، مصر، ط2، 1978.
- 9- صابر عبد الدائم: موسيقى الشعر بين الثبات والتحوّل، مطبعة الخانجي، القاهرة، سنة 1992.
- 10- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ط5 (1397هـ / 1977م).

- 11- عبد الرضا علي: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه - دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحرّ، دار الشروق للتوزيع والنشر، فلسطين، ط1 (1997م).
- 12- الدماميني: العيون الغامزة على خبايا الرامزة، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1415هـ - 1994م.
- 13- غازي يموت: بحور الشعر العربي - عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، ط2 (1992م).
- 14- محمد بنيس: الشعر العربي الحديث - بنياته وإبدالاتها، الجزء 03: الشعر العربي المعاصر، دار توبقال للنشر - المغرب.
- 15- محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط 1 (1420هـ - 1999م).
- 16- محمود عسران: موسيقى الشعر، مكتبة بستان المعرفة - الاسكندرية - مصر، سنة 2006.
- 17- مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1 (1418 - 1998م).
- 18- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

ثانيا: المعاجم:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير / محمد أحمد حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة - مصر، دت
- 2- إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، الدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1411هـ - 1991م).
- 3- إميل بديع يعقوب: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/إنكليزي/فرنسي)، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ط1 (1987).
- 4- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه: أحمد حسن سبيح، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1 (1998)،
- 5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتب العين، تحقيق: ، عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1424هـ - 2003م).
- 6- الفيروز أباذي الشيرزي: القاموس المحيط، شرح وجمع: نصر الهورمني، مكتبة النوري - دمشق - سوريا، (دت).

